الوهم

أُرسل فلاح إلى زيارة رجل نبيل، فاستقبله النبيل، ودعاه إلى مكتبه، وقدّم له الحساء، وحالما بدأ الفلاح شرب الحساء لاحظ وجود أفعى صغيرة في الكوب، وحتى لا يزعج النبيل، اضطر إلى شرب الحساء كله.

وبعد أيام شعر بألم شديد، ما اضطره إلى العودة إلى منزل النبيل من أجل الدواء، فاستدعاه النبيل مرة أخرى إلى مكتبه، وجهّز له الدواء، وقدَّمه له في كوب، وما أن بدأ يتناول الدواء، حتى وجد مرة أخرى أفعى صغيرة في كوبه.

قرر هذه المرة ألا يصمت، وصاح بصوت عالٍ: إن مرضه في المرة السابقة كان بسبب هذه الأفعى اللعينة.

ضحك النبيل بصوت عالٍ، وأشار إلى السقف، حيث عُلِّق قوس كبير، وقال للفلاح: إنك ترى في كوبك انعكاس هذا القوس، وليس أفعى.

في الواقع لا توجد أفعى حقيقية، فقد نظر الفلاح مرة أخرى إلى كوبه، وتأكد أنه لا وجود لأي أفعى، بل هناك انعكاس بسيط، وغادر منزل النبيل دون أن يشرب الدواء، وتعافى في اليوم اللاحق.

وقفة: عندما نتقبل وجهات نظر وتأكيدات محددة عن أنفسنا، وعن العالم المحيط، فإننا نبتلع خيال الأفعى.

وستبقى هذه الأفعى الخيالية حقيقية مادمنا لم نتأكد من العكس، ما أن يبدأ العقل الباطن بتقبل فكرة أو معتقد ما، سواء أكان صائبًا أم لا، حتى يبدأ باستنباط الأفكار الداعمة لهذا المعتقد.

نفترض أنك تعتقد، دون أي وعي، أن إقامة علاقة مع الآخر أمر معقد، وليس سهلًا. وبتجذره، سوف يغذي هذا المعتقد ذهنك بأفكار من نوع:

لن ألتقي أبدًا الشخص الذي سيعجبني، يستحيل إيجاد شريك جيد،...إلخ.

وما أن تتعرف على شخص ممتع، حتى يبدأ ذهنك بتدعيم الأفكار السابقة، كما يبدو أنه ليس جيدًا لهذا الحد، لن أحاول، حتى التجريب؛ لأنه لن يحصل أي شيء.

وإن ذهنك الذي تجذرت فيه فكرة «من الصعب إقامة علاقة متينة» سوف يجذب كالمغناطيس الظروف الداعمة لهذا التأكيد، ويهمل، بل يصدّ الحالات التي تثبت العكس.

إن العقل قادر على تشويه صورة الواقع ليصبح ملائمًا ومطابقًا لوجهات نظرك.

تأمل: لا تلُمْ كفِّي إذا السيفُ نبا صحَّ مِنِّي العزمُ والدهرُ أبى